

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[24] مُنْكَرُو الْمَعَادِ، فِي الْبَدَايَةِ تَحْكِي الْآيَاتُ عَلَى لِسَانِ الْمُنْكَرِينَ اسْتِفْهَامُهُمْ: (قَالُوا هَـذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفًا ۖ إِنْ نَزَّلْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) (1). يَقُولُ هَؤُلَاءِ: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَجْتَمَعَ هَـذِهِ الْعِظَامُ الْمُتَلَاشِيَةُ الدَّائِرَةُ الْمُتَنَازِلَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُعَادَ لَهَا الْحَيَاةُ مَرَّةً أُخْرَى؟! ثَمَّ أَيْنَ هَـذِهِ الْعِظَامُ النُّخْرَةُ الْمُتَنَازِلَةُ فِي كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ مِنَ هَـذَا الْإِنْسَانِ الْحَيِّ الْقَوِي الْعَاقِلِ؟ إِنََّّ التَّعْبِيرَ الْقُرْآنِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ (صلى الله عليه وآله وسلم) كَانَ يَبَيِّنُ فِي دَعْوَتِهِ (الْمَعَادَ الْجِسْمَانِي) بَعْدَ مَوْتِ الْإِنْسَانِ، إِذْ لَوْ كَانَ الْكَلَامُ عَنِ مَعَادِ الرُّوحِ فَقَطْ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ سَبَبٍ لِإِيرَادِ مِثْلِ هَـذِهِ الْإِشْكَالَاتِ مِنَ قَبْلِ الْمَعَارِضِيِّينَ وَالْمُنْكَرِينَ. الْقُرْآنُ فِي إِجَابَتِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ يَبَيِّنُ أَنَّ قَضِيَّةَ بَعْثِ عِظَامِ الْإِنْسَانِ سَهْلَةٌ وَمُمَكِّنَةٌ، بَلْ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَحَتَّى لَوْ كُنْتُمْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا: (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) وَحَتَّى لَوْ كُنْتُمْ أَشَدَّ مِنَ الْحَجَرِ وَالْحَدِيدِ وَأَبْعَدَ مِنْهُمَا مِنَ الْحَيَاةِ: (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) فَإِنََّّ الْبَعْثَ سَيَكُونُ مُصِيرَكُمْ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنََّّ الْعِظَامَ بَعْدَ أَنْ تَنْدَثِرَ وَتَتَلَاشَى تَتَحَوَّلُ إِلَى تُرَابٍ، وَالتُّرَابُ فِيهِ دَائِمًا آثَارُ الْحَيَاةِ، إِذْ النَّبَاتَاتُ تَنْمُو فِي التُّرَابِ، وَالْأَحْيَاءُ تَنْمُو فِي التُّرَابِ، وَأَوَّلُ خَلْقِهِ الْإِنْسَانُ هِيَ مِنَ التُّرَابِ، وَهَـذَا الْكَلَامُ مُخْتَصَرٌ عَلَى أَنََّّ التُّرَابَ هُوَ أَسَاسُ الْحَيَاةِ. أَمَّا الْحِجَارَةُ أَوْ الْحَدِيدُ أَوْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا فَتَحْدِثُ بِهِ الْقُرْآنُ مُنْكَرِي الْمَعَادِ، فَإِنََّّ كُلَّ هَـذِهِ الْأُمُورِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَيَاةِ بَوْنٌ شَاسِعٌ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِلنَّبَاتِ مِثْلًا أَنْ يَنْبَتَ فِي الْحَدِيدِ أَوْ الصُّخْرِ أَمَّا الْقُرْآنُ فَيَبَيِّنُ أَنَّ لَا فَرْقَ عِنْدَ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، مِنْ أَيِّ مَادَّةٍ كُنْتُمْ، إِذْ أَنَّ عَوْدَتَكُمْ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَبْقَى مُمَكِّنَةً، بَلْ وَهِيَ الْمَصِيرُ الَّذِي لَا بَدَّ وَأَنْ تَنْتَهُونَ إِلَيْهِ. _____ 1 -

"رُفَات" عَلَى وَزْنِ "كُورَات" وَهُوَ مَعْنَى يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيمٍ وَمُتَلَاشٍ.